

من تاريخ المغرب القرن ١٩







الحركات السلطانية في القرن التاسع عشر: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان 1889م "نموذجا"

مراد حصول
طالب باحث

تقديم عام:

إن المتتبع للتاريخ السياسي للمخزن المغربي في القرن التاسع عشر، يعي جيدا أن ظاهرة الحرْكة أو المحلة من توابث السياسة الداخلية للجهاز المخزني، فكثيرة هي الدراسات التي تناولت ظاهرة الحرْكة في الفترة المعاصرة، فأسهبت الحديث عن تنقلها و المهام المنوطة بها لاسيما في علاقتها مع قبائل و مدن المغرب خلال القرن التاسع عشر ميلادي، الذي عرف حوادث كبرى و فاصلة في تاريخه. فاختلفت وجهة الباحثين حول مهام الحرْكة/ المحلة بين من يرى فيهما وسيلة لممارسة السلطة المطلقة بشكل مطلق، وبين من يرى فيها أداة سهلت على المخزن المغربي إمكانية استنزاف خيرات القبائل دون مراعاة لظروفها المعيشية. إلا أن ما يميز هذه الممارسة التي كانت تضطلع بها الحرْكة أثناء تنقلها رفقة جم غفير من أفراد القبائل و رجال المخزن، و خلال مدة قد تستغرق شهور عدة أثناء مراحل سيرها هو ضمان ذلك اللقاء المباشر بين القبائل و السلطان دو

السلطة الزمية، بل وأكثر من ذلك القائد الروحي الذي تجتمع عليه كلمة الرعية في إطار تعاقد يضمن ولائهم للسلطان عن طريق عقد شرعي عرف في التاريخ الإسلامي بعقد البيعة[90].

إن الأحداث التي عرفها المغرب خلال هذه المرحلة منذ احتلال الجزائر سنة 1830م إلى حرب تطوان 1859م واكبها بروز تطورات سياسية خطيرة ساهمت بشكل كبير في تكريس سياسة الباب المفتوح أمام مختلف القوى الأجنبية المتنافسة على المغرب رغبة منها في البحث عن موطئ قدم ثابت داخل دواليب السلطة المركزية أو على الأقل بين أحضان المجتمع المغربي تماشيا مع سياستهم الرامية لاحتلال العباد و البلاد مسقبلا[91].

في خضم هذه التطورات المتسارعة التي عرفها مغرب القرن التاسع عشر، تأتي أهمية الحديث عن ظاهرة الحرْكات السلطانية و عناية المخزن بتنظيم هذه الحرْكات لما كان لها من نجاح كبير على مستوى تكريس الحضور المخزني داخل مجال معين، و الذي يصبح بوصول الحرْكة مجالا لممارسة السلطة بشكل مباشر و عادي[92].

هذا وقد جاء العرض المتعلق بالحرْكات من خلال التركيز على زيارة المولى الحسن الأول لتطوان، والذي لم يكن_ بطبيعة الحال_ هو من أبدع مسألة الحرْكات كوسيلة في ممارسة السلطة، وإنما أهمية اتخاذ هذه المرحلة_ الحسن الأول(نموذج زيارة تطوان)_ تكمن في كون أن الحرْكة عرفت خلال عهده تنظيما و اهتماما كبيرا جعلته كمثال أعلى للسلطان الذي يحكم على صهوة جواده، وهو المعروف ب " السلطان الجوال" لكثرة حرْكاته في المدن و البوادي.

وأبدأ بحثي هذا بتساؤل أنا أقل الباحثين قدرة للإجابة عليه:" منذ متى أصبحت ظاهرة التنقل المخزني أمرا معمولا به في تسيير أمر الدولة"؟ لماذا لم تعرف زيارة المولى الحسن الأول لتطوان سبيلها إلى أدبنا التاريخي بذلك الإستهلاك الذي عرفت باقي الزيارات الحسنية إلى مدن أخرى؟

أولا: الحرْكة/ المحلة السلطانية، محاولة لرصد المدلول التاريخي[93]

إن محاولة إعطاء تعريف دقيق لظاهرة الحرْكة/ المحلة السلطانية يطرح مجموعة من الإشكالات أمام كل تعريف يروم إلى تحديد معنى الظاهرة كمصطلح شغل حيزا هاما في الوثائق المخزنية أساسا، وفي معظم المصادر و المراجع لتاريخ المغرب عامة. لكن هذا الإستعمال

---

[90] ـ العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015. ص: 2.

[91] نفسه.ص3.

[92] نفسه ونفس الصفحة.

[93] ـ العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015.ص:12

للمصطلحين الذي ظل المخزن يعبر به عن حملة عسكرية أو تنقل مخزني لأغراض معينة، رافقه لبْس كبير على مستوى المعنى، وكذلك على مستوى من قام بمهمة الحرْكة أو المحلة. بمعنى هل **الحرْكة** كمصطلح تاريخي ظل مستعملا للتعبير عن الحملة العسكرية التي يقودها السلطان شخصيا، ويدير أمورها بنفسه، أم أن الأمر يتعلق بقيادة أحد أعضاء الجهاز المخزني (القائد) لهذه الحملة؟أم أن كلتا الحالتين ظل المركز(المخزني) وأحوازه (القبائل) يستعملون اللفظ(الحرْكة/ المحلة) دون تمييز لا على مستوى الفعل و لا على مستوى المعنى؟[94]

بل ما يطرح أيضا صعوبة في تجديد هذا المصطلح(الحرْكة) بدقة، هو أن الجهاز المخزني نفسه دأب استعمال لفظ آخر، و هو (المحلة) للدلالة كذلك على معاني من بينها الحملة العسكرية التي تستهدف الإنتقال من المركز إلى الهامش، إذ أصبح استعمال هذين المصطلحين (الحرْكة/ المحلة) في الوثائق المخزنية، وفي بعض الكتابات التاريخية يعنيان نفس الظاهرة، وقد يستعملها المؤلف أو كاتب الوثيقة بكيفية غير تمييزية، الواحد في مكان الآخر[95].

وفي خضم هذه الإشكالية المطروحة أمام كل تعريف، يستوجب علينا تحديد مصطلح(الحرْكة) تحديدا دقيقا.

أما فيما يخص ظهور هذا المصطلح (وقبل الإنتقال إلى محاولة تعريفه) فيبدوا أنه ليس وليد الحقبة الحديثة ولا المعاصرة من تاريخ المغرب، وإنما يمتد إلى عهد المرابطين و الموحدين[96]. كما أن ظاهرة الحرْكات السلطانية لم تنفرد بها السلطة المغربية في ممارسة الحكم[97]، وإنما يمكن أن نلاحظ ممارساته في عدة جهات من أقطار المغرب الكبير ولاسيما في تونس[98].

ويرى بعض الباحثين المغاربة الذين اهتموا بدراسة هذه الظاهرة في محاولة لتحليل هذه الممارسة الفعلية المتمثلة في تنقل الجهاز المخزني إلى مجال معين لأغراض محددة سلفا، فالباحث " أعفيف محمد" أفرد لهذه الظاهرة دراسة خاصة، ومن جملة ما تطرق إليه هو محاولة تعريف الحرْكة السلطانية، حيث يعرفها بكونها ظاهرة تنقل الهيئة السلطانية و على رأسها السلطان بين مختلف الأقاليم، ثم الإستقرار في إحدى العواصم لقضاء فصل الشتاء. هذه الظاهرة التي عرفت تاريخيا باسم "الحرْكة السلطانية" أثارت انتباه المهتمين بتاريخ المغرب الحديث و المعاصر[99].

---

94 - نفسه، 12.

95 المودن عبد الرحمان، "البوادي المغربية قبل الإستعمار قبائل إيناون و المخزن بين القرن السادس عشر و التاسع عشر"، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية، الرباط، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، 1995، ص: 310.

96 نفسه، ص:307.

97 أعفيف محمد، "الحرْكات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، منشورات كلية الآداب بالرباط، العدد 7، 1980م، ص: 47.

98 المودن عبد الرحمان، "البوادي المغربية قبل الإستعمار"، منشورات كلية الآداب بالرباط، 1995م، ص: 307.

99 أعفيف محمد، " الحرْكات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، منشورات كلية الآداب بالرباط، العدد 7، ص: 47.

في حين يذهب الأستاذ المودن عبد الرحمان، إلى أبعد من اعتبار هذا المصطلح بمثابة" تنقل الهيئة المخزنية و على رأسها السلطان بين مختلف الأقاليم"[100]. إذ يعتمد في تحديده على الإستناد إلى منطق مقابلة اللفظ بمثله الحركة/ المحلة.

وقد عبر المودن عن قوله بخصوص لفظتي الحركة / المحلة في الخطاب المخزني، وخلص إلى نتيجة هامة، عبر عنها بقوله: " هذا الفرق في التصور المخزني و الشعبي للفظتين دفعنا إلى محاولة تحديد دقيق، ومختلف للمصطلحين، وقد أسفر استقراؤنا لجملة هامة من الوثائق المخزنية المتعلقة بظاهرة التنقل، عن فرز مستويين: هما المحلة السلطانية، و المحلة غير السلطانية التي نقترح قصر تسمية (الحركة) عليها، حتى ننتقل إلى مستوى اللفظ و التمايز الحاصل في مستوى الفعل"[101].

هنا نرى أن المودن اقتصر على المحلة التي لا يكون السلطان فيها حاضرا تسمية **الحركة** ، ووظف لفظ **المحلة** السلطانية التي يكون فيها السلطان حاضرا، وذلك محاولة منه للإحاطة بظاهرة التنقل و الجولان[102].

لكن رغم هذا الإرتباك و الغموض الحاصل في تحديد المصطلحين، سنحاول من خلال هذا الجدول تقديم بعض التعريفات التي ربما تقرب الصورة أكثر من هذه الظاهرة التي عرفها المغرب خلال بعض مراحل تاريخه، والتي شغلت حيزا هاما في العديد من الكتابات المهتمة بدراسة الظاهرة[103]:

الكلمة	**تعريفها**
الحركة	مصطلح مخزني يستعمل للتعبير عن الحملة العسكرية التي يقوم بها السلطان أو أحد كبار قواده لتفقد أحوال القبائل أو لتأديبها في حالة العصيان، وتعرف باسم المحلة حين يرأسها السلطان شخصيا.[104]
	جيش قد يكون نظاميا فقط، أومعززا بفرسان ورماة عينتهم قبائلهم استجابة لأمر مخزني يوجه في مهمة.[105]
	تحركات و تنقلات الجيش المغربي بقيادة السلطان.[106]
المحلة	تعرف هذه الحملة العسكرية باسم(المحلة حين يرأسها السلطان

[100] المودن عبد الرحمان، مرجع سابق، ص: 308.
[101] نفسه،ص: 312.
[102] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، .جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية،فاس.2015. ص:15
[103] نفسه ص:16
[104] القبلي محمد، "تاريخ المغرب تحيين و تركيب"، منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب، الرباط، 2011م، ص: 753.
[105] المحمدي علي، " السلطة و المجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران"، دارتوبقال للنشر، الدار البيضاء،ط1، 1989م، ص: 138.
[106] وزارة التربية الوطنية، كتاب منار الإجتماعيات، السنة الثالثة من التعليم الثانوي الإعدادي، 2004م، ص30.

	شخصيا).[107]
	كانت تستعمل للدلالة على جيش جرار أوكتيبة، كما كانت تستعمل أيضا بمعنى نزول أو مقر حامية.[108]
	تعني مقر الإقامة، وأيضا الحملة العسكرية.[109]

جدول 1: تعريف لفظتي الحرْكة/ المحلة السلطانية[110].

أهم ما يمكن أن نستشفه من خلال هذا الجدول أعلاه، هو أن كل التعريفات تجمع على أن الأمر يتعلق بحملة عسكرية يقودها السلطان أو أحد كبار قواده، و ذلك لتفقد أحوال الرعية و معاقبة القبائل العصية باتخاذها(أي الحملة) المركز كنقطة انطلاق و العودة إليه بعد تحقيق الأهداف المتوخات من هذا التنقل[111]. إلا أن أهم ما يميز هذه الحملة كذلك هو طابعها الإداري المتمثل أحيانا في الفصل في النزاعات بين القبائل المستهدفة بهذه الحرْكة، هذا الفصل الذي يكون إما بأشكال سلمية أو باستعمال طابع القوة وإنزال السطوة على قبيلة من القبائل، وقد يتجاوز هذا الأمر و ذاك إلى تحقيق أهداف سياسية و اقتصادية معينة ومحددة سلفا(مثل جبي الضرائب، و ضمان طاعة القبائل العصية)، وبالتالي فإنه يتعين على حاكم البلاد أن يتنقل عند محكوميه، قصد الحفاظ على الوشائج الهشة التي تشد حياة محلية ما تزال قوية الإنسجام إلى نظام مركزي، عليه أن يجدد استقراره بكيفية مستمرة عن طريق التنقل[112]. وهذا ما يتوافق مع الأهداف السياسية التي تروم الحرْكة أو المحلة إلى تحقيقها[113].

وبالتالي، فإذا كانت الحرْكات شكل من أشكال ممارسة السلطة كانت تفرض على المخزن التنقل بين مختلف جهات البلاد لممارسة سلطته بشكل مباشر مع القبائل التي لا تنالها أحكام المخزن[114]. فما هي بعض نماذج هذه الحركات التي قام بها السلاطين العلويين خلال نهاية القرن التاسع عشر؟ وبماذا ارتبط تنظيمها؟.

---

[107] القبلي محمد ،المرجع السابق، ص: 753.
[108] المحمدي علي، المرجع السابق، ص: 140.
[109] وزارة التربية الوطنية، المرجع السابق، ص: 30.
[110] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015. ص:17.
[111] نفس المرجع و الصفحة.
[112] المودن عبد الرحمان، المرجع السابق. ص: 308.
[113] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015، ص:18.
[114] ـ نفس المرجع و الصفحة

ثانيا: زيارة المولى الحسن الأول لتطوان عام 1889م .

يقول ابن زيدان في" الإتحاف" ما نصه: لما تم أمر البيعة تاقت همته(مولاي الحسن الأول) الأبية إلى التجول في أقطار البلاد و النظر في أحوال الرعية و توطيد الأمن وقطع جرثومة البغي و التمرد.[115]

الموكب السلطاني أثناء الحركة :

من المفيد الإشارة أولا، إلى أن شروع السلاطين في تنظيم الحرْكات، غالبا ما كان يتم ابتداءا من فصل الربيع، وينتهي في غالب الأحيان مع حلول فصل الخريف أو بعد مرور الأسابيع الأولى منه[116]. لكن هذا لا يعني توقف الحرْكات عن القيام بوظائفها في فصل الشتاء، فكثيرا ما خاض السلطان الحسن الأول حملات عسكرية خلال هذا الفصل[117].

وما كان يزيد هذه الحملات العسكرية أهمية هو قوة و كثافة الإجراءات المخزنية قبل انطلاق الحرْكة من مجال معين إلى آخر، ذلك أنه قبيل وصول المولى الحسن الأول لتطوان إبان إحدى حرْكاته" السلمية" والتي انطلقت من فاس يوم 17 شوال 1306ه الموافق لـ15 يونيو 1889م، حسب ابن زيدان في الإتحاف[118]، و10 1306ه حسب الناصيري في " الإستقصا"[119] إلى تطوان ، و التي حلت برحابها سنة 1307ه/ 1889م ، وسيأتي ذكر الإختلاف في تاريخ الدخول كذلك في محور مفصل.

وقبيل وصول المولى الحسن الأول للمدينة، وفد على تطوان عددا من رؤساء القبائل بخيولهم قبل موعد الزيارة السلطانية بنحو ثلاثة أشهر، وأنهم كانوا أثناء إقامتهم بأحواز تطوان يتسابقون على ظهور خيلهم، وكان عددهم كثير[120].

فكانت بذلك فرحة أهل تطوان فرحتان، الأولى قبل وصول السلطان و الثانية إبان و بعد دخول السلطان المدينة، فلكم أن تتخيلوا فرحة سكان أهل تطوان و الأحواز بقدوم سلطانهم لأول مرة لما يصاحب ذلك من بهجة في قلوب الكبار و الصغار، وبدون شك كان الناس ينظرون إلى الحركات و المسابقات بعين الإجلال و الإكبار، وصاروا يشعرون بعظمة المغرب، وفي عظمة المغرب عظمة سلطانه، و دولته. وقد كان _ و مازال_ لمظاهر الخيل و الفروسية التي تمتاز بها

---

115 ابن زيدان، إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس، تحقيق علي عمر، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط1، 2008م، ج2، ص: 162

116 ابن زيدان، العز و الصولة في معالم نظم الدولة، المطبعة الملكية بالرباط، 1961م، ج1، ص:237.

117 الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830_1912، المطبعة و الوراقة الوطنية، مراكش، ط1، 2008م، ج2، ص: 162

118 ابن زيدان، "الإتحاف"، ج2، ص: 262.

119 الناصري(أحمد بن خالد)، الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى،دار الكتاب، الدار البيضاء، ط 1997، ج4، ص: 275.

120 حسناء (محمد داوود)، زيارة المولى الحسن الأول لتطوان فصلة من كتاب" تاريخ تطوان" للأستاذ محمد داوود، منشورات جمعية تطاويين أسمير، تطوان، 1997م، ص: 9.

القبائل المغربية، تأثير سحري يأخذ بمجامع القلوب، و كان كل ذلك تمهيدا للزيارة السلطانية التاريخية[121].

أما فيما يتعلق بنظام انطلاق الحرْكة، فيبدوا أنه لم يكن هناك نظام معين لسيرها، فعادة عند عبور أراضي القبائل الثائرة تتكلف وحدات القبائل بأخذ القيادة من أجل إجلاء كل المخاطر على جوانب المحلة، لكن عندما يخاف من المفاجآت من الخلف الخاصة من القبائل البربرية[122]، تعطى الأوامر لهذه الوحدات(القبيلة) بالرجوع إلى الخلف، وعندما تكون هناك حرب ما فإنهم يكونون دائما في الصفوف الأمامية[123]. وفي أثناء سير الحركة، كان الموكب السلطاني ينطلق وفق ترتيب معين حيث كان السلطان يتوسط أفراد حاشيته تحت مظلته و موسيقيين الذين يغنون خلال الثلاث ساعات من الرحلة، وكانت أسلحة السلطان في طريق سير الحرْكة قريبة منه، وخلفه يوجد الحاجب و الوزراء و الكتاب فوق البغال، و الرماة بمدافعهم و أفواج باقي المسخرين مشكلين بذلك حزاما أمنيا[124].

وذلك على الترتيب الذي وجدته عند مصطفى الشابي في كتابه" الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، الجزء الثاني" ويوضحه الرسم البياني أسفله:

وعندما كانت الحرْكة تمر بمجموعة من القبائل، كان يتعين على المخزن القيام بجملة من الوظائف المتمثلة في استخلاص الضرائب أو فض المنزاعات[125]، حيث يشير صاحب "الإتحاف" في هذا المقام بأنه "إذا كان للجناب السلطاني غرض في قبيلة من القبائل التي يكون المرور عليها أو معهم كلام في واجب و نحوه، فتتقدم إليها سرية من الجند و العسكر و بعض القبائل"[126].

وبالتالي فإن الحرْكة أثناء سيرها كانت لا تكتفي بقطع أدراج الطريق وحسب، وإنما كانت تقوم كذلك بمجموعة من الوظائف التي كانت تتطلب على ما يبدوا لقاءا مباشرا بين السلطان و محكوميه، و من هذا المنطلق لم تكن الحرْكة - كما يرى الأستاذ محمد أعفيف- "مجرد سفر عادي للسلطان او حملة عسكرية بل هي تعدت هذا و ذاك، وأصبحت وسيلة لمعاينة أمور عديدة"[127].

---

121 نفس المرجع و الصفحة.
122 العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015.
123 أرنو لويس، " زمن المحلات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860م-1912م"، ترجمة محمد ناجي بن عمر، إفريقيا الشرق، 2002م، ص: 18.
124 نفسه.
125 العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015، .ص:107.
126 ابن زيدان، الإتحاف، ج2، ص: 163.
127 أعفيف محمد، "الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان"، ص: 47.

وهذا الأمر المتعلق بممارسة السلطة خارج المجال المخصص لها، نجده يتطابق أيضا مع ما أشار إليه صاحب "العز و الصولة" بقوله : "شأن الجلالة السلطانية في الأشغال الإدارية و الخصوصية في الحضْر هو شأنه في السفر غالبا"[128].

هذا وقد كان السلطان في طريقه- فضلا عن إدارة أمور القبائل وقبض الواجبات- يزور العديد من الأضرحة القريبة من المجال الذي يكون المرور عليه، وذلك للتبرك بأصحابها، ففي طريقه إلى تطوان عبر الشاون زار المولى الحسن الأول الصالح سيدي علي شقور، وتحدث معه و تبرك به[129]، ثم قصد ضريح شيخ الجبل وأستاذ الشيوخ وجد الأشراف الشيخ مولانا "عبد السلام بن مشيش، و كانت زيارته له يوم الجمعة[130].

ويذكر لنا المؤرخ ابن زيدان في "الإتحاف"، أن السلطان وضع في ضريح الشيخ "عبد السلام بن مشيش" ألف ريال و مئاتي طرف من الكتان، وقدم ذبائح، وزوره الشرفاء، وهو راجل، جميع آثار جدهم الشيخ العظيم[131]. وكثيرا ما كانت تسمى بعض المواضع في بعض المدن أو القبائل المغربية بأسماء مرفوقة باسم السلطان، نسبة إلى ذكرى توقف السلطان بإحدى الأماكن خلال إحدى حرْكاته[132].

وصول حرْكة السلطان لتطوان و إشكالية تاريخ الدخول من خلال بعض المصادر:

تشير بعض الدراسات التاريخية إلى عدة إشارات تفيد أنه عند اقتراب السلطان من المجال الذي عزم السفر إليه، وأصبح لا يفصل بين هذا المجال و بين الموكب السلطاني إلا مراحل قليلة، تصدر الأوامر العالية لعامل البلد و من جرت العادة لإعلامهم بذلك[133]،فينادى في عموم الأسواق لإشعار العامة و الخاصة ليكون الجميع على أهبة[134].

وقد عرف دخول المولى الحسن الأول لتطوان إشكالا على مستوى التأريخ ليوم دخول السلطان للمدينة، فحسب الناصري في " الإستقصا" يقول: " فدخلها يوم الأربعاء ثامن محرم من عام 1307ه و التي توافق ثالث شتنبر من العام 1889م[135]. كذلك نجد ابن زيدان في "الإتحاف"

---

[128] ابن زيدان، " العز والصولة" ج1، ص: 238.
[129] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م).ص:108.
[130] حسناء(محمد داوود)، "الفصلة" ، ص: 10.
[131] ابن زيدان، "الإتحاف"، ج2، ص: 262.
[132] العزوزي محمد.المرجع السابق.ص: 108.
[133] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)،ص:109
[134] ابن زيدان، "العز و الصولة"، ج1، ص: 249.
[135] الناصري، "الإستقصا"، ج4، ص: 275.

يتفق مع الناصري في يوم الدخول لتطوان[136]، إلا أنه يختلف معه في تاريخ الإنطلاق من فاس كما سبق الإشارة.

في حين يقول الأستاذ الرهوني في كتابه المحقق " عمدة الراوين في تاريخ تطاوين" أن تاريخ دخول السلطان الحسن الأول لتطوان هو يوم فاتح محرم من العام 1307ه[137] الموافق للتاريخ الميلادي 27 غشت سنة 1889م،وقد وصف الرهوني هذه الزيارة وصف مشاهد لها.

وفي إطار الحديث عن إشكالية اختلاف التأريخ لتاريخ الدخول، نجد هناك تاريخ آخر في كتاب les relations franco-espagnoles et l'affaire du maroc: le France et l'Espagne au maroc" لمؤلفه "jean alengry " يقول أنه في 8 شتنبر 1889م دخل مولاي الحسن الأول تطوان تم توجه نحو مراكش[138] .

ورغم هذا الإختلاف في التأريخ لتاريخ الدخول لتطوان، فإن كل المصادر أجمعت على أن مدة إقامة المولى الحسن الأول بتطوان هي خمسة عشر يوما كاملا.

وفي رأي المتواضع أرى أنه من الأجدر لنا السير فيما قاله ووصفه لنا الرهوني باعتباره كان شاهد عيان، و كان من بين الجماهير التي حجت بقوة لملاقاة و استقبال السلطان، حيث يقول ما نصه: وكنت فيما بينهم راكبا بغلا ببردعة، فلما أسفر الصبح، أسفر عن طلعة الأمير" الحسن الأول"[139] . أي أنه كان من المصطفين لإستقبال و مشاهدة السلطان يوم دخوله تطوان، فاتح محرم عام 1307ه الموافق لـ27 غشت 1889م.وهو الذي أعطى لنا و صفا دقيقا لهذه الزيارة الحسنية من ألفها إلى يائها. ويقول أبو يعزى: "أنفع الكلام ما كان إشارة عن مشاهدة، أو إخبار عن شهود".

الموكب السلطاني في تطوان:

عند دخول السلطان المدينة استقبل من طرف واليها القائد أحمد الخضر السلاوي، وبعده قاضي المدينة محمد عزيمان، ثم بعد ذلك توالت الإستقبالات من طرف الشرفاء و العلماء و الأعيان وسائر الطبقات الموجودة بالمدينة[140] ، ولم يستثنى منها اليهود المغاربة الذين حجوا بكثرة

---

[136] ابن زيدان ، "الإتحاف" ج2، ص: 262.

[137] أبو العباس الرهوني، "عمدة الراوين في تاريخ تطاوين"، الجزء الثاني، منشورات جمعية تطاون أسمير، طباعة ألطوبريس،ط2، تحقيق جعفرالسلمي، 2001م، ص : 91.

[138] **Jean alengry."les relations franco-espagnoles et l'affaire du maroc: le France et l'Espagne au maroc".p:161. Source gallica.bnf.fr / Bibliothèque nationale de France.**

[139] الرهوني، عمدة الراوين في تاريخ تطاوين، ج2، تحقيق جعفر السلمي، ص: 91.

[140] حسناء داوود, "الفصلة"، ص: 11.

لإستقبال سلطانهم، إلا أنهم عوملوا بنوع من الإحتقار و الإقصاء، كوقوفهم على الجانب الأيسر في الممر السلطاني لإعتبارهم أهل الشمال من طرف المغاربة المسلمين[141].

وكان نزول السلطان بالدار المخزنية في المشور السعيد، وقصد وزراءه وحاشيته بيوتات كبراء المدينة، فحضوا بمنزلة تشرف مقامهم وتليق جنابهم[142].

وبعد أن أقام السلطان بضعة أيام في المدينة،وبعد أن يصدر رسائله لمختلف أقطار البلاد يبلغهم بأطوار السفر وبحلوله بالمكان الذي عزم التوجه إليه، كان يخصص أوقاتا لإستقبال وجوه أناس بصفة خاصة،فاستقبل الفقيه سيدي الحاج أحمد السلاوي ثم الحاج محمد اللبادي و أخاه، ثم الأمين محمد بريشة، ثم أولاد أشعاش مجتمعين ، وباقي وجهاء وكبراء المدينة من قضاة (علي عزيمان)، وعلماء و أشياخ و الأعيان، وذلك كله كان بروض دار المخزن بالمشور السعيد[143].

وتجدر الإشارة في هذا الصدد، إلى أن السلاطين كانوا - على ما يبدوا- خلال تنقلاتهم لا يكتفوف فقط بالنظر في الأحوال المتعلقة بسياسة البلاد الداخلية، وإنما قد يخصصون يعض أوقاتهم خلال زيارتهم لمنطقة ما لإستقبال بعض سفراء الدول الأجانب المقيمين بذلك البلد أو غيره، قصد تسوية بعض الأمور المتعلقة بسياسة البلد الخارجية[144]. ففي زيارة المولى الحسن الأول لتطوان هذه، خصص هذا السلطان أوقاتا لإستقبال وجوه الناس بصفة خاصة، فقد وفد على تطوان سفيرا إيطاليا و بلجيكا، فاستقبل السلطان كل واحد منهما استقبالا رسميا بساحة الفدان، حيث قدما له أوراق اعتمادهما في هذين الإستقبالين[145]، حتى إذا ما قابلاه في طنجة(مقر النيابة) مع بقية السفراء الأجانب، كانا معرفين مقبولين كغيرهما من سفراء الدول[146].

كذلك خصص السلطان أياما لزيارة الأولياء و الصلحاء بتطوان و ضواحيها، وذلك جريا للعادة المخزنية منذ القديم، فزار السلطان مع حاشيته ضريح أقرب ولي من الدار المخزنية، وهو ضريح سيدي عبد الله الحاج البقال، ثم بعده ضريح سيدي مصباح، وضريح علي بن ريسون، وضريح سيدي المنضري... وقد ذبح على كل ضريح من تلك الضرائح ثورا تصدق بلحمه على الضعفاء و المساكين، أما الزاوية الريسونية فقد ذبح بها ثورين اثنين، و التي لم يزرها لبعدها أرسل إليها الذبائح فنال الفقراء منها ما ملأ بطونهم مرقا و لحما، وأفئدتهم فرحا و سرورا،

---

[141] العيادي رضوان، زيارة السلطان مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية، ضمن أعمال ندوة: تطوان قبل الحماية 1860-1912م، منشورات كلية الآداب و العلوم الإنسانية بتطوان 1992م، مطبعة الهداية، 1994م، ص ص: 174 -181.

[142] حسناء داوود، المرجع السابق، ص: 12.

[143] نفسه، ص: 15.

[144] العزوزي محمد.الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م).ص:110.

[145] نفس المرجع و الصفحة.

[146] حسناء داوود،" الفصلة"، ص: 15.

وألسنتهم شكرا و ثناء[147]. ناهيك عن الهدايا التي تبادلها السلطان مع أهل تطوان، من ملابس و أموال، و أكرم الطلبة ، وكسا المخزنية و البحرية و الطبجية و وصل الجميع[148].

لكن ما يثير التساؤل عند الحديث عن الحرْكات المخزنية خاصة خلال الفترة المدروسة، هو مسألة تموين أفراد هذه الحرْكة، وذلك من حيث ضمان توفير الطعام للعدد الكبير من هؤلاء الأفراد المرافقين لها؟[149]

يقول مصطفى الشابي في هذا الصدد أن المؤونة كانت تفرض على المنطقة التي قصدها السلطان من حيث قيامهم بإطعام العاملين مع المخزن عند حلولهم بالمكان المقصود لتنفيد مهمة ما، وتكون هذه المؤونة إما عينية أو نقدية، وفي بعض الأحيان هما معا[150].

ومن بين الأعمال التي قام بها السلطان بالمدينة، هي إعطاء الأمر بإصلاح أملاك الأحباس، وبناء قنطرة المحنش، ناهيك عن بناء الأبراج ، وتوسيع الزوايا (الزاوية الريسونية)، لكن مع الأسف معظم هذه الأعمال تأخر تنفيدها ، ومنها من لم ينجز[151].

والجدير بالذكر أن جلالته بعد هذه الزيارة مباشرة أرسل ولده مولاي عمر إلى تطوان لدراسة العلم على شيوخها، وذلك بناء على رغبة بعض أعيان المدينة، فأقام لهذه الغاية معززا مكرما سنتين كاملتين[152].

ثالثا: المجتمع التطواني خلال الزيارة الحسنية.

1. رصد أجواء استقبال السلطان:

جرت العادة في استقبال السلاطين و الأمراء، خروج الناس على اختلاف طبقاتهم لإستقبال ورود جلال السلطان[153]. وفي هذا الصدد نلمس من زيارة المولى الحسن الأول لتطوان سنة 1307ه/ 1889م آثار الإحتفالات الكبيرة التي أقامها أهل البلد على شرف الزيارة السلطانية لبلدهم، كما نستشف العادات و التنظيمات التي كان يستقبل بها السلاطين عند قدومهم على مجال معين. حيث قضى أهالي تطوان الليلة التي سيدخل فيها السلطان المدينة في صبيحتها أيقاضا فرحا بزيارة السلطان و استعدادا للقاه،وفي صباح ذلك اليوم خرجت تطوان بأسرها لإستقبال السلطان المحبوب، وماج الناس بعضهم في بعض، ثم نظمت المواكب و رتبت الصفوف و قصد الجميع طريق السلطان، وقد توارت الوفود من القبائل المحيطة بتطوان، ودقت الطبول، وارتفعت

---

[147] حسناء داوود،"الفصلة"، ص: 14.
[148] نفسه، ص: 19.
[149] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، ص:110.
[150] الشابي مصطفى، الجيش المغربي في القرن التاسع عشر، ج2، ص: 206.
[151] حسناء داوود، "الفصلة"، ص ص: 22/ 23
[152] إشارات حول الإشعاع الفكري و الحضاري لمدينة تطوان، مجلة دعوة الحق، العدد: 227.
[153] ابن زيدان. العز و الصولة، ج1، ص: 249.

الأصوات بالأذكار و الدعوات، وعلت البنادق و المكاحل فوق الكواهل، وبعد استقبال السلطان، ولّى الجميع وجهه شطر تطوان، وقد صدحت الموسيقى السلطانية، ثم تقاصفت رعود المدافع من كل برج، فرحا بأمير المؤمنين، وتكهرب الجو، وغمرت الناس من الفرح موجات[154].

وفي إطار الحديث عن استقبال الناس السلطان عند الدخول للمدينة، يجب الوقوف عند مسألة مهمة وهي الجماعة اليهودية التي أمرت بالوقوف عمدا على يسار الطريق المؤدية إلى المدينة، وعند مرور السلطان و اقترابه منهم أمروا بخلع نعالهم! جريا للعادة. وقد تعرض اليهود لكثير من الشتم و سوء المعاملة[155]. ووقوف اليهود على يسار الطريق المؤدية إلى مدينة تطوان له أكثر من دلالة، و لعل أبرز هذه الدلالات دلالة عقائدية، فاليهود ليسوا من أصحاب اليمين في المعتقد الإسلامي[156]. والواقع أن سعي اليهود من استقبال السلطان و تلويحهم بالأعلام وغنائهم له يوحي في الحقيقة بتعبيرهم عن وفائهم له.

وقد أسهبت الصحافة البريطانية في وصف هذه الزيارة من خلال جريدة times of morocco حيث كان هذا الوصف في عمقه محملا بأحكام القيمة حول مجموعة من الأشياء رافقت هذا الإستقبال، وفي وصف لها للسلطان عند الدخول" كان يرتدي لباسا مراكشيا عاديا، وكان سرج فرسه الأبيض مزكرشا بالنحاس. لقد كانت ابتسامته بهيجة، وإن كان وجهه يبدو عليه بعض الغبار من جراء السفر... على العموم فإن مظهر السلطان كان مخيبا للآمال ليس بسبب نقص في التمجيد و البهرجة، ولكن بسبب نقص في النضافة."[157]

ولعل خيبة الأمل التي أصابت مراسل times of morocco من جراء مظهر السلطان، تجد تفسيرها المناسب في الخلفية التاريخية و السياسية للرحلة السلطانية إلى المنطقة الشمالية[158]. فالحدث الذي نحن بصدده(حدث الزيارة السلطانية) يصنع خبرا لأنه يتعلق بتحركات أسمى شخصية في البلاد، وأيضا لأن هذه الزيارة كانت تكتسي أهمية شديدة في نظر بريطانيا، خاصة إذا علمنا أن الزيارة جاءت بعد مرض أرقد السلطان فراشه، مما أثار احتمالات كثيرة حول مآل المغرب[159].

---

154 حسناء داوود، " الفصلة"، ص: 11.
155 العيادي رضوان، زيارة مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية، ص: 175.
156 نفسه. ص: 176.
157 نفس المرجع و الصفحة.
158 نفسه، ص: 178.
159 نفسه، ص: 175.

خاتمة

انطلاقا مما سبق، يمكن القول أن ظاهرة الحرْكات شكلت خلال مغرب القرن التاسع عشر وسيلة المخزن الفعالة في إقرار السلطة في العديد من مجالات البلاد، ورغم أنها كانت تكلف المخزن عناء السفر و تكاليف التنظيم، إلا أنها كانت تحقق له نجاحا كبيرا على مستوى التحكيم أو على مستوى ضمان موارد مالية لتسيير شؤون البلاد، هذه الموارد كان المخزن يحصل عليها في الغالب من القبائل أو المدن أثناء كل حركة تستهدف جهة معينة[160].

وما يمكن استخلاصه من زيارة المولى الحسن الأول لتطوان هو:

- أن الحرْكة الحسنية طوال مراحل كانت أكثر انتظاما وفعالية، رغم أنها كانت تكلف المخزن الحسني طاقات بشرية و مادية هائلة لتنظيمها[161].
- لم تكن الحرْكة مجرد تنقل عادي، وإنما كانت تحرص على تحقيق العديد من الأهداف خلال تنقلها، أهداف لا تخرج عن دائرة ممارسة السلطة بمعناها الكامل[162].
- كان لقاء أهل تطوان بالسلطان سابقة في تاريخهم و تاريخ مدينتهم، فأصبحوا يؤرخو لتلك السنة، بسنة الزيارة الحسنية.
- طرحت هذه الزيارة للمنطقة الشمالية العديد من التساؤلات لدى الدول الإمبريالية في تلك الفترة.

لائحة المصادر و المراجع:

Jean alengry.*les relations franco-espagnoles et l'affaire du maroc: le France et l'Espagne au maroc*. :paris / Source gallica.bnf.fr .Bibliothèque nationale de France

ابن زيدان. (1961). العز و الصولة في معالم نظم الدولة. الجزء1. الرباط. المطبعة الملكية.

ابن زيدان عبد الرحمان. (2008). إتحاف أعلام الناس بجمال أخبار حاضرة مكناس. الجزء 2. ط1. القاهرة. مكتبة الثقافة الدينية.

أبو العباس الرهوني. (1997). عمدة الراوين في تاريخ تطاوين. تحقيق جعفر السلمي. الجزء الثاني. تطوان. جمعية تطاون أسمير.

[160] العزوزي محمد، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م).ص:129.
[161] نفس المرجع و الصفحة.
[162] نفس المرجع و الصفحة.

أرنو لويس. (2002). " زمن المحلات السلطانية الجيش المغربي وأحداث قبائل المغرب ما بين 1860م-1912م" ترجمة محمد ناجي بن عمر . إفريقيا الشرق.

أعفيف محمد. (1980). "الحركات الحسنية من خلال مؤلفات ابن زيدان" . الرباط. منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية. العدد 7.

الشابي مصطفى. (2008م). الجيش المغربي في القرن التاسع عشر 1830_1912.ط1. ج2. مراكش. المطبعة و الوراقة الوطنية.

العيادي رضوان. (1994م). زيارة السلطان مولاي الحسن الأول لتطوان من خلال الصحافة البريطانية. ضمن أعمال ندوة: تطوان قبل الحماية 1860-1912م، منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية بتطوان 1992م. تطوان. مطبعة الهداية.

القبلي محمد. (2011م). "تاريخ المغرب تحيين و تركيب". الرباط: منشورات المعهد الملكي للبحث في تاريخ المغرب.

المحمدي علي. (1989م). " السلطة و المجتمع في المغرب نموذج أيت باعمران".ط1. الدار البيضاء. دارتوبقال للنشر.

المودن عبد الرحمان. (1995). "البوادي المغربية قبل الإستعمار قبائل إيناون و المخزن بين القرن السادس عشر و التاسع عشر. منشورات كلية الأداب و العلوم الإنسانية بالرباط . الدار البيضاء. مطبعة النجاح الجديدة.

الناصري أحمد بن خالد. (1997). الإستقصا لأخبار دول المغرب الأقصى. الجزء الرابع. الدار البيضاء. دار الكتاب.

حسناء داود. (1997). زيارة السلطان المولى الحسن الأول لتطوان. فصلة من كتاب الأستاذ محمد داوود "تاريخ تطوان". تطوان. جمعية تطاون أسمير.

محمد العزوزي، الحركات السلطانية بمغرب القرن التاسع عشر(1873_1907م)، بحث لنيل شهادة الإجازة في التاريخ، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب و العلوم الإنسانية، فاس،2015

إشارات حول الإشعاع الفكري و الحضاري لمدينة تطوان العدد: 227. مجلة دعوة الحق.